آثار العرب

باب التقاريظ

ديوان الرافعي

مصطفى افندي صادق الرافعي يعرف شعره قراء المنار فلا حاجة لتعريفهم به وقد جمع منظوماته في ديوان يطبع الآن واننا ننشر كلمة له فيه تنويهاً به وترغيباً فيه وهي

كلمة الناظم

أول الشعر اجتماع أسبابه . وانما يرجع في ذلك الى طبع صقلته الحكمة وفكر جلا صفحة البيان . فما الشعر الا لسان القلب اذا خاطب القلب . وسفير النفس اذا ناجت النفس . ولا خير في لسان غير مبين . ولا في سفير غير حكيم

ولو كان طيراً يتغرد لكان الطبع لسانه . والرأس عشه . والقلب روضته . ولكان غناؤه ما تسمعه من أفواه المجيدين من الشعراء . وحسبك بكلام تنصرف اليه كل جارحة . ويجني من كل شئ حق لتحسب الشعراء من النحل تأكل من كل الثمرات فيخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس .

وكأنما هو بقية من منطق الانسان اختبأت في زاوية من النفس فما زالت بها الحواس حتى وزنتها على ضربات القلب وأخرجتها بعد ذلك الحانا بغير إيقاع . الا تراها ساعة النظم كيف تتفرغ كلها ثم تتعاون كأنما تجث بنور العقل عن شئ غاب عنها في سويداء الفؤاد وظلماته . لذلك كان أحسن الشعر ما تغنى به قبل عمله وهي طريقة تفنن فيها الشعراء حتى لكان الحطيئة يهوي في أثر القوافي هواء الفصيل في أثر أمه .

وترى المجيد من أهل الغناء اذا رفع عقيرته يتغنى ذهب في التحرك مذاهب حتى كأنما ينتزع كل نغمة من موضع في نفسه فيتألف من ذلك صوت اذا أجال حلقه فيه وقعت كل قطعة منه في مثل موضعها من كل من يسمع فلا يلبث أن يستفزه طربه . كأنما انجذب قلبه . وتصبو نفسه . كأنما أخذ حسه . لا فرق في ذلك بين أعجمي وعربي ومن أجل هذا ترى أحسن الاصوات يغلب على كل طبع وانما الشاعر والمغني في جذب القلوب سواء . وفي سحر النفوس أكفاء . الا ان هذا يوحي الى القلب

وذاك ينطلق عنه . وأحدهما يفيض عليه والثاني يأخذ منه . والويل لكليهما اذا لم يطرب هذا ولم يعجب ذاك .

والشعر موجود في كل نفس من ذكر وأنثى . فالمك لتسمع الفتاة في خدرها والمرأة في كسر بيتها والرجل وقد جلس في قومه . والصبي بين اخوته يقصون عليك أضغاث أحلام قد عقد في أثناء كلامهم من عبق الشعر ما لو نسمته لفغمك . وحسبك أن تكسر وسادك تحدث اليهم فتراه طائراً بين أمثالهم رفيف فلتات ألسنتهم وهو كأنما قد ضل اعشاشه . ولقد نبغ فيه من نساء هذه الامة شموس سطعن في سماء البيان . وطلعن في أفق البلاغة . ولا يزال الناس الى اليوم يروون للخنساء وجنوب وعلية وعنان وزهون وولادة وغيرهن وبحسبك قول النواسي : ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة منهن الخنساء ولبلى .

ولو كان الشعر هذه الالفاظ الموزونة المقفاة لعددناه ضرباً من قواعد الاعراب لا يعرفها الا من تعلمها ولكنه يتنزل من النفس منزلة الكلام فكل انسان ينطلق به ولا يقيمه كل انسان . وأما ما يعرض له بعد ذلك من الوزن والتقفية فكما يعرض للكلام من استقامة التركيب والاعراب . وانك انما تمدح الكلام باعرابه ولا تمدح الاعراب بالكلام .

ولم أقرأ اجمع فيه من قول حكيم العصر . وامام الادباء في مصر . « لو سألوا الحقيقة أن تختار لها مكاناً تشرف منه على الكون لما اختارت غير بيت من الشعر » ولا فيما قالوه في الشعراء أجمع من قول كعب الاحبار « الشعراء أناجيلهم في صدورهم تنطلق ألسنتهم بالحكمة » .

ولم يكن لأوائل العرب من الشعراء الا الابيات يقولها الرجل في الحاجة تعرض له كقول دريد بن زيد حين حضره الموت وهو من قديم الشعر العربي

اليوم يبقى لدريد بيته لو كان للدهر بلى أبليته
أو كان قرني واحداً كفيته

وانما قصدت القصائد على عهد عبد المطلب أو هاشم بن عبد مناف . وهنالك رفع امرؤ القيس ذلك اللواء . وأضاء تلك السماء التي ما طاولتها سماء . وهو لم يتقدم غيره الا بما سبق اليه مما اتبعه فيه من جاء بعده . فهو أول من استوقف على الطلول ووصف النساء بالظباء والمها والبيض وشبه الخيل بالعقبان والعصي وفرق بين النسيب

وما سواه من القصيدة وقرب مآخذ الكلام وقيد أوابده وأجاد الاستعارة والتشبيه . ولقد بلغ منه انه كان يتفنت على كل شاعر بشعره .

ثم تتابع القارضون من بعده فمنهم من أسهب فأجاد . ومنهم من أكب كما يكبو الجواد . وبعضهم كان كلامه وحي الملاحظ . وفريق كان مثل سهيل في النجوم يعارضها ولا يجري معها . ولقد حدوا في ذلك حتى ان منهم من كان يظن ان لسانه لو وضع على الشعر لحلقه . أو الصخر لفلقه .

ذلك أيام كان للقول غرر في أوجه ومواسم بل أيام كان من قدر الشعراء ان تقلب عليهم القابهم بشعرهم حتى لا يعرفون الا بها كالمرقش والمهلهل والشريد والمثقب والمتلمس والنابغة وغيرهم . ومن قدر الشعراء كانت القبيلة اذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها بذلك وصنعت الاطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن في الاعراس . وأيام كانوا لا يهنئون الا بغلام يولد أو شاعر ينبغ او فرس تنتج . وكانت البنات ينفقن بعد الكساد اذا شبب بهن الشعراء .

ولم يترك العرب شيئاً مما وقعت عليه أعينهم أو وقع الى آذانهم أو اعتقدوه في أنفسهم الا نظموه في سمط من الشعر وادخروه في سفط من البيان حتى انك لترى مجموع أشعارهم ديواناً فيه من عوائدهم وأخلاقهم وآدابهم وأيامهم وما يستحسنون ويستهجنون حتى من دوابهم . وكان القائل منهم يتعمد عفو ها جبه وربما افظ الكلمة تحسبها من الوحي وما هي من الوحي ولم يكن يفاضل بينهم الا أخلاقهم الغالبة على أنفسهم . فزهير أشعرهم اذا رغب . والنابغة اذا رهب . والاعشى اذا طرب . وعنترة اذا كلب . وجرير اذا غضب . وهلم جرا .

ولكل زمن شعر وشعراء ولكل شاعر مرآة من أيامه فقد انفرد امرؤ القيس بما علمت واختص زهير بالحوليات واشتهر النابغة بالاعتذارات وارتفع الكميت بالهاشميات وشمخ الحطيئة بهاجيه وساق جرير قلائصه وبرز عديّ في صفات المطية وطفيل في الخيل والشماخ في الحمير . ولقد أنشد الوليد بن عبد الملك شيئاً من شعره فيها فقال ما أوصفه لها اني لأحسب ان أحد أبويه كان حماراً . وحسبك من ذي الرمة رئيس المشبهين الاسلاميين انه كان يقول « اذا قلت كأن » ولم أجد مخلصاً منها فقطع الله لساني . وقد فتن الناس ابن المعتز بتشبيهاته ؟ وأسكرهم ابو نواس بخمرياته ؟ ورققت قلوبهم على زهديات ابي العتاهية وجرت دموعهم لمراثي أبي تمام

وابتهجت انفسهم بمدائح البحتري وروضيات الصنوبري ولطائف كشاجم .

فمن وجيع بصره في ذلك وسلك في الشعر ببصيرة المعري وكانت له اداة ابن الرومي وفيه غزل ابن ربيعة وصبابة ابن الاحنف وطبع ابن برد وله اقتدار مسلم وأجنحة ديك الجن ورقة ابن الجهم وفخر أبي فراس وحنين ابن زيدون وانفة الرضي وخطرات ابن هاني وفي نفسه من فكاهة أبي دلامة ولمنيه بصر ابن حفاجة بمحاسن الطبيعة وبين جنبيه قلب أبي الطيب فقد استحق ان يكون شاعر دهره ؟ وصناجة عصره .

ولا يهولنك ذلك اذا لم تستطع عد الشعراء الذين انحلوا هذا الاسم ظلماً وألحقوه بانفسهم إلحاق الواو بعمرو فكلهم أموات غير أحياء وما يشعرون .

وأبرع الشعراء من كان خاطره هدفاً لكل نادرة فربما عرضت للشاعر أحوال عما لا يعني غيره فاذا علق بها فكره تمخضت عن بدائع من الشعر فجاءت بها كالمعجزات وهي ليست من الاعجاز في شيء ولا فضل للشاعر فيها الا أنه تنبه لها . ومن شديد على هذا جاء بالنادر من حيث لا يتيسر لغيره ولا يقدر هو عليه في كل حين .

وليس بشاعر من اذا انشدك لم تحسب ان سمعه مخبوء في فؤادك . وان عينك تنظر في شفافه ، فاذا تغزل أضحكك ان شاء وأبكاك ان شاء . واذا تحمس فزعت لساقط رأسك . واذا وصف لك شيئاً هممت بلمسه حتى اذا جئته لم تجده شيئاً . واذا عتب عليك جعل الذنب لك ألزم من ظلك . واذا نثل كنانته رأيت من بريه صريعاً لا أثر فيه لقذيفة ولا مدية وانما هي كلمة فتحت عليها عينه أو ولجت الى قلبه من اذنه فاستقرت في نفسه وكأنما استقر على جمر .

واذا مدح حسبت الدنيا تجاوبه ، واذا رثى خفت على شعره ان يجري دموعا ، واذا وعظ استوقفت الناس كلمته وزادتهم خشوعا ، واذا فخر اشتم من لحيته رائحة الملك فحسبت انما حفت به الاملاك والمواكب .

وجماع القول في براعة الشاعر ان يكون كلامه من قلبه فان الكلمة اذا خرجت من القلب وقعت في القلب واذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان .

ولقد رأينا في الناس من تكلف الشعر على غير طبع فيه فكان كالاعمى يتناول الاشياء ليقر هافي مواضعها وربما وضع الشيء الواحد في موضعين أو مواضع وهو لا يدري .

وأبصرنا فيهم كذلك من يجيء باللفظ الموشق والوشي النضر فاذا نثرت أوراقه لم تجد فيها الا ثمرات فجة .

ورأينا في المطبوعين من أثقل شعره بانواع من المعاني فكان كالحسناء تزيدت من الزينة حتى سمجت فصرفت عنها العيون بما أرادت ان تلفتها به . على ان أحسن الشعر ما كانت زينته منه وكل ثوب لبسته الغانية فهو معرضها .

وهو عندي أربعة أبيات بيت يستحسن وبيت يسير وبيت يندر وبيت يجن به جنوناً وماعدا ذلك فكالشجرة التي تقض ثمرها . وجني زهرها . لا يرغب فيها الا المحتطب .

أما مذاهبه التي أبانوها من الغزل والنسيب والمدح والهجاء . والوصف والرثاء وغيرها فهي شعوب منه وما انتهى المرء من مذهب فيه الا الى مذهب ولا خرج من طريق الا الى طريق . ألم تر انهم في كل واد يهيمون . وما دامت الاعمار تتقلب بالناس فالشعر أطوار . آونة تخطر فيه نسمات الصبا ما بين افنان الوصف الى أزهار الغزل . ويتسبب فيه ماء الشباب من نهر الحياة الى مشرعة الامل . وطوراً تراه جم النشاط تكاد تصقل بمائه السيوف . وتفرق بحده الصفوف . وحيناً تجده وقد ألبسه المشيب ثوب الاعتبار . وجمله بمسحة من الوقار . وهو في كل ذلك يروي عن الايام ويروي عنه . وما أكثر فنون الشعر اذا رويتها عن أفانين الايام

وأما ميزانه فاعمد الى ما تريد نقده فرده الى النثر فان استطعت حذف شيء منه لا ينقص من معناه أو كان في نثره أكمل منه منظوماً فذلك الهذر بعينه أو نوع منه ولن يكون الشعر شعراً حتى تجد الكلمة من مطلعها لمقطعها مفرغة في قالب واحد من الاجادة وتلك مقدرات الشعراء . اليك مثلا قول ابن الرومي يصف منهزماً

لا يعرف القرن وجهه وبرى قفاه من فرسخ فيعرفه

فقلب نظرك بين الفاظه وأجله في نفسك ثم ارجع الى قول ذلك الخارجي وقد قال له المنصور: أخبرني أي أصحابي كان أشد إقداماً في مبارزتك؟ فقال: ما أعرف وجوههم ولكن اعرف اقفاءهم فقل لهم يديروا أعرفك : ألست ترى في ذلك النظم من كمال المعنى وحلاوة الالفاظ ما لا تراه في هذا النثر .

ولقد بقي ان قوماً لم يهتدوا الى الفرق بين منثور القول ومنظومه . والذي أراه أن النظم لو مد جناحيه وحلق في جو هذه اللغة ثم ضمهما لما وقع الا في عش النثر وعلى أعواده . ولن تجد لمنثور القول بهجة الا اذا صدح فيه هذا الطائر الفرد . بل لو كان النثر ملكا لكان الشعر تاجه . ولو استضاء لما كان غيره سراجه .

ومازال الشعراء يأتون بجمل منه كأنها قطع الروض اذا تورد بها خد الربيع .

وهذا ابن العباس وكتبه . وابن المعتز وفصوله . والمعري ورسائله . وانظر الى قول بشار وقد مدح المهدي فلم يعطه شيئاً فقيل له لم تجد في مدحه فقال . والله لقد مدحته بشعر لو قلت مثله في الدهر لما حنث صرفه على حر ولكني اكذب في العمل فاكذب في الامل . وبشار هو ذلك الغواص على المعاني الذي يزعم ابن الرومي أنه أشعر من تقدم وتأخر وهو القائل في شعره مفتخراً

اذا ما غضبنا غضبة مضرية هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

اذا ما أعرنا سيداً من قبيلة ذرى منبر صلى علينا وسلما

والامثلة على ذلك أكثر من أن تعد . وأوسع من أن تحد .

ولا تجد الناظم وقد أصبح لايحسن هذا الطراز الا اذا كان جافي الطبع كدر الحس غير ذكي الفؤاد لم تجتمع له آلة الشعر وهو اذا كان هناك وجاء من صنعته بشيء فانما هو نظام وليس بشاعر .

أما الفرق بين المترسلين والشعراء فان كان كما يقول الصابي « ان الشعراء انما أغراضهم التي يرتمون اليها وصف الديار والآثار . والحنين الى الاهواء والاوطار . والتشبيب بالنساء . والطلب والاجتداء . والمديح والهجاء . وأما المترسلون فانما يترسلون في أمر سداد ثغر واصلاح فساد . أو تحريض على جهاد . أو احتجاج على فئة . أو مجادلة لمسألة . أو دعاء الى ألفة . أو نهي عن فرقة . أو تهنئة بعطية . أو تعزية برزية . أو ماشاكل ذلك » فذلك زمن قد درج فيه أهله . وبساط طوي بما عليه . ولم يعد أحد يحذر مؤاخاة الشاعر لانه يمدحه بمن ويهجوه مجاناً . وانما الفرق بين الفريقين ان مسلك الشاعر أوعر ومركبه أصعب وأسلوبه أدق وكلامه مع ذلك أوقع في النفس وعلى قدر إجادته يكون تأثيره فالمجيد من الشعراء أفضل من غيره في صناعة الكلام وانك انما تزين النثر بالشعر ولا تزين الشعر بالنثر .

وفي الحديث الشريف « انا قد سمعنا كلام الخطباء وكلام أبي سلمى فما سمعنا مثل كلامه من أحد » . وقال الشافعي في كتاب الأم: الشعر كلام كالكلام فحسنه كحسنه وقبيحه كقبيحه وفضله على سائر الكلام انه سائر في الناس يبقى على الزمان فينظر فيه: هذا وان من الشعر حكمة . ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولوا الالباب » .

تتمة تقريظ « أحسن الكلام »

أورد المصنف بعد مقدمته تلك حديث أبي هريرة الصحيح في النهي عن الكلام وقت خطبة الجمعة وهو « اذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت والامام يخطب فقد لغوت » وقال انه قد أخرجه الستة ونقول ان ابن ماجه لم يخرجه . وأورد بعده احتجاج أبي حنيفة بأقوال الصحابة على منع الكلام من وقت خروج الامام وان صاحبيه خالفاه لأنهما لايحتجان برأي الصحابي لأن المجتهد لايقلد مجتهداً . واستنتج من ذلك أن الترقية المتعارفة في زماننا جائزة عند الصاحبين مالم تشتمل على تغنٍّ وتلحين مخلٍّ قال « والا فهي مكروهة اتفاقا » . ثم قال انه لاوجه للانكار على الترقية مع هذا الخلاف بين المجتهدين « وانما يجب الانكار فيما اتفق الكل وأجمعوا على عدم جوازه »

ونقول : الظاهر ان مصنف الرسالة هو الذي استنبط هذا الجواز من قواعد الصاحبين . فإن كان يدعي ان بدعة الترقية كانت في عهدهما وانهما نصّا على جوازها فليدلنا على النصّ . واذا كان هو المستنبط للجواز فلنا في استنباطه إشكالات

(أحدها) انه ليس لمثله أن يستنبط ولا أن يرجح وانما هو من الطبقة التي لايقبل منها الا نقل نصوص المذهب كابن عابدين ولا يدعي أنه فوق طبقة ابن عابدين الذي صرح بأنه لايقبل منه الا النقل لنصوص المذهب المرجحة . بل قالوا ان أبحاث الكمال بن الهمام لايعمل بها اذا خالفت نصوص المذهب

(ثانيها) اذا فرضنا أنه ادّعى أنه فوق الكمال في الفقه وأن له أن يستنبط من نصوص أئمته فلماذا لايستعمل هذه الموهبة في وظيفته ويزحزح عن المحكمة بعض قيود الفقهاء الذين ضيقوا مذهب الحنفية واكثرهم من الذين لم يبلغوا هذه الدرجة — درجة الاستنباط من أصول المذهب — واذا كان المؤلف وصل اليها فلا يجوز له التقيد بأقوال من هم دونه من الفقهاء وأي نعمة على المحاكم الشرعية في مصر بل على مذهب الحنفية من وجود مجتهد فيه ينقحه ويسهل وعورته فيصلح به حال هذه المحاكم التي يحتج قضاتها بأنهم ممنوعون عن الاصلاح بقيود الفقهاء التي كلفوا بالجمود عليها وعدم التصرف فيها كأنما ألفاظها قرآن تعبّدوا به تعبداً

(ثالثها) ان ماينقل عن الصحابة عليهم الرضوان ان كان من قبيل الرأي فهو الذي لايكلف المجتهد باتباعهم فيه الا اذا وافق دليله دليلهم . وأما اذا كان مما لامجال

الرأي فيه كالعبادات فله حكم المرفوع الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم . والأقرب أن مسألتنا من هذا القسم فان لم يسلم بأنه الأقرب فلا أراه ينكر أنه الأحوط

(رابعها) أن الكلام الذي أجازوه في المسجد في غير وقت الخطبة ليس فيه شبهة التعبد به واتخاذه شعارا لازما كما هو الشأن في الترقية المعروفة في هذه الأزمنة فقياس الترقية على الكلام قياس مع الفارق . على أن ما كان من قبيل الشعائر الدينية والتعبد لايجوز القياس فيه كما تقدم في النبذة الماضية لأنه مما يجب فيه الوقف عند نص الشارع فثبت بهذا أن الترقية بدعة منكرة لاوجه لجوازها في مذهب من المذاهب

(خامسها) أن الترقية المسؤل عنها مشتملة على التغني والتلحين المخل فهي منكرة حتى في رأي المصنف ولكن اراد قياسه على تقدير خلوها من ذلك والحكم بأنه لاوجه لإنكارها يوهم من يطلع على الرسالة من غير أهل التدقيق أنه بذلك القياس، يجيز ماعليه الناس ، وهو انما أجاز صورة من صور الترقية غير موجودة ، وخلاصة القول أن هذه الرسالة لاتبيح الترقية المعهودة الآن وانما تبيح ترقية مشروطة بشرط غير موجود بناء على قياس في غير محله

ثم تكلم المصنف في حكم قراءة سورة الكهف فقال انها « جائزة اتفاقا ولاوجه للقول بمنعها » ثم ذكر أنها عبادة لم يرد النهي عنها بخصوصها « ولم يدخل ذلك تحت نهي عام واستثنى من ذلك القراءة وقت الخطبة أو عند خروج الامام على الخلاف المار » ثم صرح بأن قراءتها رفع الصوت في المسجد لاتمنع واورد حديث « لايجهر بعضكم على بعض بالقرآن » وقال أنه على فرض صحته لايصلح حجة للمنع وكذلك حديث « لاضرر ولاضرار » قال « وعلى فرض وجود مصل لنحو تحية مسجد وقت قراءتها فلا يحصل من ذلك تشويش عليه » ثم قال « انه ورد أحاديث كثيرة بطلب قراءتها واورد منها حديثين ثم نفى أن يكون الاجتماع الخاص في المسجد لسماعها بدعة لدخوله في عموم الترغيب في الاجتماع للذكر

نقول ان في هذا الاستدلال نظراً ظاهراً لاسيما على قواعد الحنفية الذين يقلدهم المصنف فانهم نصوا في كتبهم على أن قراءة الم السجدة والإنسان في فجر الجمعة مكروهة مع أن الاحاديث فيها صحيحة ليست كأحاديث قراءة سورة الكهف . وعللوا الكراهة بأن فيها هجراً لباقي القرآن بل قالوا باتجاه التحريم في ذلك . فان قيل انهم قالوا بذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يلتزم قراءة الم السجدة والانسان في فجر يوم الجمعة

بل ورد أنه قرأ غيرها أيضا فقالوا بكراهة المواظبة عليهما ، نقول ان ماورد فيهما أصح مما ورد في غيرها ويدل على التكرار ولم يرد حديث صحيح في قراءة سورة الكهف يوم الجمعة والناس يواظبون عليها مع الاجتماع والتوقيت حتى كأنها من شعائر الاسلام المنصوصة ، مع انها معارضة بأحاديث منها ما رواه الطبراني في الأوسط عن ابن عباس مرفوعاً « من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس » ومنها ما رواه ابن مردويه عن كعب مرفوعا بسند صحيح « اقرؤا سورة هود يوم الجمعة » نعم انه مرسل ولكن الحنفية يحتجون بالمرسل وان لم يحتج به مصنف الرسالة في منع الكلام عند خروج الامام الى الجمعة ، ومنها حديث الطبراني في الكبير عن أبي أمامة « من قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة أو يوم الجمعة بنى الله له بيتاً في الجنة » ومنها أحاديث في قراءة سور في ليلة الجمعة

أما الاحاديث التي اختارها مما ورد في قراءة سورة الكهف فهي كما ذكرها بالنص قال : منها ما أخرجه ابن مردويه عن ابن عمر مرفوعا « من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه الى عنان السماء يضيء له الى يوم القيامة وغفر له ما بين الجمعتين » وما رواه غير واحد عن أبي سعيد الخدري « من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق »

أقول قد طعن في سند كل منهما بل قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الأذكار ان أقوى ماورد في قراءة سورة الكهف حديث أبي سعيد عند الحاكم في التفسير والبيهقي في السنن « من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين » وقد أورده الحاكم من طريق نعيم بن حماد عن هشيم عن أبي هاشم وصححه ولكن قال الذهبي في الميزان : بل نعيم بن حماد ذو مناكير : « وقد ورد في قراءة آيات مخصوصة من الكهف بدون ذكر الجمعة روايات قوية وبعضها في صحيح مسلم

وأما تشويش هؤلاء القراء في المساجد على المصلين فهو مما لاشك فيه وما فرضه صاحب الرسالة من وجود المصلين وقت قراءة سورة الكهف في المسجد أمر واقع مشاهد ولكن هؤلاء الفقهاء يتكلمون بالفروض كأنهم في كون مفروض غير موجود . وكون التشويش على المصلين غير جائز مما لاينبغي أن يشك فيه والصلاة هي المقصودة من المساجد بالذات ولذلك صرح الفقهاء بمنع الجهر بالتلاوة في المسجد اذا كان فيه من يصلي . وقد أول المصنف حديث « لايجهر بعضكم على بعض بالقراءة » ورواه

« بالقرآن » بأن معناه الظاهر « ولا يتم أحدكم أحداً بالقرآن أولا يشتم بعضكم بالقرآن انتصاراً على البعض الآخر » ولم يعلم انه عُلل بإيذاء المصلي (رواه الخطيب عن جابر) وروى ابو داود عن ابي سعيد الخدري : اعتكف رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فسمعهم يجهرون بالقراءة فكشف الستر وقال « الا ان كلكم مناج لربه فلا يؤذ بعضكم بعضاً ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة » ولكن اكثر المشتغلين بالفقه لا يطلعون على كتب السنة الا قليلا . ولا يخفى ان ايذاء من يجهر لمن يسر بالصلاة أو القراءة أشد من ايذائه لمن يجهر مثله لأن الجهر يدفع بالجهر . فسقط جميع استدلال المصنف وثبت أن قراءة سورة الكهف في المسجد يوم الجمعة في الوقت الذي يجتمع الناس فيه للصلاة بدعة محظورة لا سنة مطلوبة (للتقريظ بقية)

﴿ كتاب اصابة المرام . فؤاد من حاد عن سنة خير الأنام ﴾

اهدانا الشيخ محمود محمد احمد خطاب السبكي أحد علماء الأزهر نسخة من كتاب له جديد سماه بهذا الاسم وهو في بيان البدع والمنكرات الفاشية بين أهل العلم والدين وفي المساجد وحلقات الدروس وغير ذلك . ولم تتيسر لنا مطالعته وانما اخذناه الآن في يدنا وقرأنا جملة من فهرسه فاذا فيها (مطلب تحريم القراءة اذا لزم عليها تشويش خلافا لمن قال بالكراهة) فراجعنا هذا المطلب وأحببنا أن ننقل منه تأييداً لما ذكرنا آنفاً في الانتقاد على رسالة الشيخ بخيت ما يأتي . قال المصنف في سياق الكلام على المنكرات الفاشية في الجامع الأزهر ومنها التشويش على المصلين برفع الصوت بالنية ما نصه :

« قال ابن العماد لوتوسوس المأموم من تكبيرة الاحرام على وجه يشوش على غيره من المأمومين حرم عليه ذلك كمن قعد يتكلم بجوار المصلي وكذا تحرم عليه القراءة جهراً على وجه يشوش على المصلي بجواره » اه وقوله : من المأمومين : يعني مثلا وكذا قوله على المصلي والا فالتشويش حرام ولو على النائم . واما قوله ابن حجر بكراهة القراءة عند التشويش ورده قول ابن العماد بالحرمة فهو المردود . وكيف لا وقد أضر بقراءته المتعبدين ورسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا ضرر ولا ضرار » اه

ثم رأيت فيه مبحث قراءة سورة الكهف في المساجد فأحببت نقله أيضا وهو :

« ومنها أعني البدع التي اخترعوها في الجامع الازهر ونحوه قراءة سورة الكهف يوم الجمعة بصوت مرتفع وترجيع والمسجد مملوء من الناس ما بين راكع وساجد وذاكر وقارئ ومتفكر الى غير ذلك ومع ذلك يرتبون للقارئ لها اجرة من الوقف وذلك

ممنوع من وجوه (الاول) كونه مخالفا لما كان في زمان النبي صلى الله عليه وسلم وزمن أصحابه والسلف والخير كله في الاتباع والشر كله في الابتداع والاحاديث في ذلك معلومة (الثاني) أن فيه تشويشا على من بالمسجد مطلبا بعبادة وقد تقدم غير مرة أن التشويش ممنوع بالاجماع لقول النبي صلى الله عليه وسلم (ملعون من ضار مؤمنا) (الثالث) فيه صرف للمال في غير مصرف شرعي بل هو منكر وهو ممنوع ولا سيما من مال الوقف (الرابع) أن ذلك كان سببا في اعتقاد العوام أن قراءة السورة المذكورة بهذه الصفة من معالم الدين فأدخلوا في الدين ما ليس منه وتقدم أنه ممنوع بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم (الخامس) فيه رفع الاصوات في المسجد لغير ضرورة شرعية وقد ورد النهي عن ذلك قال صلى الله عليه وسلم « لا يجهر بعضكم على بعض بالقراءة » وقال عليه الصلاة والسلام « يا علي لا تجهر بقراءتك ولا بدعائك حيث يصلي الناس فان ذلك يفسد عليهم صلاتهم » وقال في الدر المختار للسادة الحنفية « يحرم رفع الصوت في المسجد بذكر لا للاستفهمة » اه ولمسئل موضوعه فيما اذا كان في تشويش . وقال ابن العماد الشافعي : تحرم القراءة جهرا على وجه يشوش على محو مصل اه ومر ويأتي النص على أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يكرهون رفع الصوت بالذكر والقرآن ولا سيما في المساجد فاذا عند التشويش لا يشك في التحريم . نعم ورد النص على فضل قراءة هذه السورة ليلة الجمعة ويومها ولكن ليس كما اعتاده هؤلاء الناس بل يقرأ لنفسه في بيته مطلقا أو في المسجد بدون رفع صوت حذرا من التشويش . وعبارة قرة العين مع شرحها فتح المعين للعلامة زين الدين المليباري الشافعي نصها وسن قراءة سورة الكهف يوم الجمعة وليلتها للأحاديث فيها وقراءتها نهارا آكد وأولاها بعد الصبح مسارعة للخير وان يكثر منها ومن سائر القرآن فيهما ويكره الجهر بقراءة الكهف وغيرها ان حصل به تأذ لمصل أو نائم كما صرح به النووي في كتبه . وقال شيخنا في شرح العباب ينبغي حرمة الجهر بالقراءة في المسجد وحمل كلام النووي بالكراهة على ما اذا خيف التأذي وعلى كون القراءة في غير المسجد اه قال عشيه السيد علوي قوله (للأحاديث) فقد صح ان من قرأها ليلتها أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق اه

وفي فتاوي قاضي خان : رجل يقرأ القرآن وبجنبه رجل يكتب الفقه لا يمكنه أن يستمع كان الاثم على القارئ لانه قرأ في موضع يشتغل الناس باعمالهم ولا شيء على الكاتب اه فما بالك بمن كان مشغولا بنحو صلاة ويشوش القارئ عليه كالحاصل

بقراءة سورة الكهف يوم الجمعة . ونحوه في القنيع عن الخلاصة قال : وعلى هذا لو قرأ على السطح والناس نيام يأثم اه قال ابن عابدين اي لانه يكون سبباً لاعراضهم عن استماعه أو لانه يؤذيهم بايقاظهم ثم قال يجب على القاري احترام القرآن بأن لا يقرأه في الأسواق ومواضع الاشتغال فاذا قرأ فيها كان هو المضيع لحرمته فيكون الاثم عليه دون أهل الاشتغال دفعاً للحرج اه

وكذا في مذهب السادة الحنبلية وغيرهم فتحصل أن قراءة السورة المذكورة بهذه الكيفية التي اعتادها كثير من الناس ممنوعة باجماع المسلمين . وكيف لا وهي من الحدث في الدين . لمخالفتها لما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وأصحابه وصالح السلف . ومعلوم أن كل ما خالف ذلك فهو في شرك الوبال والتلف اه

هذا ما رأينا نقله الآن من كتاب السبكي من غير بحث فيه وسنعود الى النقل عن هذا الكتاب الذي نود أن يطلع عليه جميع المسلمين . ونشكر لمؤلفه عنايته بخدمة الدين .

(تقويم المؤيد) صدر تقويم المؤيد للسنة الهجرية الجديدة وفيه من الفوائد والمباحث العلمية والتاريخية والسياسية والأدبية ما جمع على اختصاره بين الفائدة واللذة وقد توسع فيه بالكلام عن مصر والسودان حتى انه يغني عن كتاب (دليل مصر) لما فيه من بيان أحوال البريد والسكك الحديد .... وذكر في باب وفيات الأعيان ملخص تراجم كبار الرجال الذين ماتوا في العام الماضي ومنهم باي تونس والسيد الكواكبي . وذكر في باب القضاء أهم المسائل التي يحتاج الى معرفتها المتخاصمون في المحاكم المصرية مرتبة على حروف المعجم . وفي باب الاحصاء طلبة العلم والعلماء بمساجد مصر . البريد المصري . سكك الحديد في العالم . الامم المدينة السكر . نسبة المتعلمين في الامم . العائلات وضعف التناسل . الجرائد في العالم . سكان الارض . السفن . اللغات . الزنافر نساء النساء في الولايات المتحدة . أعمار النساء . وغير ذلك . وجملة القول في هذا التقويم انه نديم المقيم ورفيق المسافر وقاموس العلم ومكتبة اللبيب . وهو يطلب من مؤلفه محمد افندي مسعود المحرر بالمؤيد ومن المكاتب الشهيرة وثمنه خمسة قروش

﴿ النخبة الأزهرية . في تخطيط الكرة الأرضية ﴾

كتاب حافل في تقويم البلدان يدخل في أربعة أجزاء . الجزء الأول — عموميات على الدنيا . الجزء الثاني — مصر والحكومة السودانية . الجزء الثالث — أفريقيا واوربا . الجزء الرابع — آسيا وأمريكا والاقيانوسية والاقاليم القطبية . وفيه ٤٧

خريطه ملونة و ٦٦ صورة وشكلا . ومؤلفه اسماعيل افندي علي الموظف بنيابة الاستئناف الأهلية ومدرس علم تقويم البلدان بالجامع الأزهر الشريف .

هذا ملخص التعريف بالكتاب . ونقول إن قراء العربية في أشد الحاجة الى كتب مطولة في هذا الفن ومن العجيب أن وجدت كتب مطولة في أكثر العلوم العصرية دون هـذا العلم الذي يجب أن يكون عامّا ومن الفضائح ان يجهله ذكر او انثى . فمن نعم الله تعالى على قراء العربيـة ان سخر لهم رجلا من أوسعهم اطلاعا وتدقيقاً فيه فوضع لهم هـذا الكتاب وهو مؤلفه إسماعيل افندي علي الذي زاول تعليمه في المدارس الاميرية أعواما طويلة ثم لايزال يعلمه في الأزهر الى اليوم

ومن شكر النعم أن يبادروا الى اقتناء الكتاب والاستفادة منـه لأن الشكر انما يكون بوضع النعمة في موضعها الذي وجدت لأجله . ومن آيات الجهل الفاضحة أن يحبس هذا الكتاب الجليل في مكاتب الباعة زمنا طويلا . ومن الاساءة الى المحسن أن ينفق هـذا المؤلف زمنا طويلا من وقته في التعريب والتأليف ووضع الخرائط بالعربية ثم يصرف مبلغا كبيرا من ماله في نفقات طبع الكتاب ولاتكون أقل مكافأة له من الأمة سرعة الاقبال على كتابه . أما صفحات الكتاب فهي ٦٤٠ من الشكل الكبير جـداً وثمنه أربعون قرشاً صحيحاً ومن لاحظ الصعوبة في طبع الخرائط الملونة بالألوان الكثيرة وصعوبة وضعها يعلم أن ثمن الكتاب رخيص بصرف النظر عن فائدته

أننا تصفحنا بعض الكتاب بالإجمال وانما نثق به لثقتنا بسعة اطلاع مؤلفه على كتب الافرنج الحديثة وله العذر اذا وقع فيه شيء من الخطا في احصاء أهالي بلاد كالبلاد العثمانية لايتيسر له الوقوف على كتب حديثة فيها كما يتيسر له في غيرها . وقد كان أول من انتقد هذا في الكتاب هو أول المعجبين به صديقنا رفيق بك العظم قال : انه اعتمد على الاحصاآت القديمـة كقوله عن سكان دمشق ان عددهم ٦٠ الفاً مع ان الاحصاء الجديد الوارد ذكره في سلنامة الولاية الرسمية هو ١٤٣٣٢١ وفي الحقيقة إنه يزيد عن هذا العدد أيضاً اذ يقدر العارفون سكان دمشق بمائة وستين ألفاً . وعلى هذا يقاس ما ذكره عن عدد نفوس بقية البلدان الكبيرة في الزيادة والنقصان كحلب وبيروت وحماه وغيرها ولو اعتمد في النقل على سلنامات الدولة الرسمية لكانت خدمته العظيمة أتم وضعه الجميل أكمل وانتقد عليه أيضاً عدم تعيينه درجات العرض للبلدان الكبيرة بالتفصيل أو الاقطار بالاجمال ولو فعل لأغنى المطالع عن مراجعة الخرائط الموجودة في الكتاب لمعرفة

عرض كل بلد أو قطر كما فعل غيره في كتب أصغر من كتابه . وانتقد أيضاً اختصار الكلام في المملكة العثمانية وهو يرجو كان يرجو ان يضع لها كتاباً مخصوصاً

الباب الخامس والأربعون

﴿ الدولة العلية ومكدونية ﴾

نجم من عدة أشهر ناجم من الثورة في بلاد مكدونية فشخصت له أوربا وأسرعت روسيا والنمسا الى الدولة العلية بالنصيحة والحث على تلافي الأمر والمسارعة الى إصلاح البلاد ووضعتا الإصلاح (لائحة) عرفتا بها سائر الدول ثم قدمتاها الى الدولة ملحتين في المبادرة الى قبولها فلم تلبث الدولة أن قبلتها على علاتها خلافاً لعادتها في التريث واللي ومن موضوع اللائحة وجوب استعمال الأوربيين في الإصلاح لانه لا ثقة لأوربا برجال الدولة . وقد ساء هذا معشر الألبانيين ، ولم يقع موقعه من نفوس معاشر المسيحيين ، لان نفوسهم طمحت بالاستقلال ، فكل ما دونه يعد عندهم من الأعيب الأطفال .

كان في أثر ذلك أو معه حركة في البلغار وهزة في السرب وطاف في الأذهان ، ان هذه الفتنة ستعم بلاد البلقان ، وظهرت من بعض الدول العظام أمارات الاتفاق مع روسيا والنمسا ومن بعضهن علائم السكوت وعدم المعارضة . واختلفت الظنون في نية روسيا فجنح بعض الى ترجيح كفة السلم من جانبها بدليل نصائحها المتتابعة للبلغار بين وغيرهم من شعوب البلقان بان يخلدوا الى السكينة ، ويتفيؤا ظلال الهدون والمسالمة ، ومال بعض الى ترجيح كفة الحرب بدليل التقاليد القديمة التي وضعها بطرس الأكبر في وصيته (التي نشرناها في الجزء الماضي) وما يصدق ذلك من أخبار استعدادها الحربي في هذه الايام

الحق أن لكل من الرأيين وجهاً وجيهاً وأن سياسة روسيا أصبحت دقيقة المسالك مشتبهة الأعلام فبينا ترى قيصرها ينادي بوجوب تعميم الأمن والسلام ، ومد ظلاله على رؤس جميع الأنام ، تراه يستعد للكفاح استعداداً صورياً ومعنوياً .